التشبيه في شعر أبي الفضل الميكالي من حيث: مصادره وأغراضه البلاغية ((دراسة نصية))

د. أحمد قاسم الزمر
أستاذ البلاغة والأسلوبية المساعد
كلية اللغات ـ جامعة صنعاء

ملخص البحث:

لمبحث التشبيه في البلاغة العربية أهمية واضحة، جعلت الأدب بفنونه المختلفة، ولا سيما الشعر منها يتخذه وسيلة فنية للتعبير عن جمال الصورة. وإذا كان للتشبيه أدوات مختلفة - ولكل موقعها - فإن التشبيه بدون الأدوات أروع وأجمل ، كما أن هناك نوعا من التشبيه لم تختفِ فيه الأدوات والوجه فحسب ؛ بل ضمن فيه الشعراء ركني التشبيه الأساسيين تضمينا، ولم يصرحوا بهما وقد سلك الشاعر أبو الفضل الميكالي كل هذه المسالك والطرق التعبيرية للتشبيه كما عبر عنه شعره في مراحله المختلفة ومقتطفاته المتعددة التى رأيناها على مدار هذا البحث ومختاراته المتنوعة .

وللتشبيه روعةٌ وجمالٌ ، وموقعٌ حسنٌ في البلاغة العربية ، وذاك لإخراجه الخَفِيِّ إلى الجليِّ ..

و إدنائه البعيد من القريب ، كما أن التشبيه يزيد المعنى وضوحاً ويكسبه تأكيدا، ولهذا استخدمه جميع المتكلمين من العرب والعجم في إنتاجهم الأدبي ، ولم يستغنِ أحد منهم عنه، كما يقول علماء البلاغة .

وقد تناولت في هذا البحث القيم الدلالية والفنية للتشبيه من خلال مصادره وأغراضه ومسالكه وبلاغته ، معتمدا التحليل وإبراز الصورة والدلالة والنتيجة المترتبة على تلك الدلالة في كل صورة تشبيهية مررت بها .

فالتشبيه - كما رأينا في نماذج كثيرة عند الشاعر أبي الفضل الميكالي موضوع الدراسة- فنّ واسع النطاق، فسيح الخطو، مُمتدّ الحواشي، متشعب الأطراف، متوعّر المسالك غامض المدرك، رقيق المجرى، غزير الجدوى .

بيد أن الشاعر أكثر من الاعتماد على مظاهر الطبيعة الحية والجامدة بشكل ملفت لا تكاد تخلو منه قصيدة .

كما أن كثيرا من تشبيهاته يكتنفها الغموض ، وقد حاولت تبديد ذلك الغموض بالتعبير عن دلالة التشبيه بأسلوب يقرب معناه ويوضح فكرته .

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

قال تعالى: الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ "4"

وقال صلى الله عليه وسلم ، إن من البيان لسحرا.

ويقول حسان رضي الله عنه:

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكدره الدلاء

ومن هذه النصوص نتبين أن (البيان) روح الكلام، والروح عماد البدن، كما أن العلم عماد الروح والبيان عماد العلم.

فالبيان كما يقول علماء البلاغة علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، مع وضوح الدلالة وتجسيد المعنى، فوظيفة علم البيان رسم الصورة البديعة التي من شأنها التأثير في النفوس، وإيصال المعنى بطرق بعضها أوضح من بعض، كالتشبيه والاستعارة والمجاز المرسل والكناية.

والبيان الذي أهدف إليه هو البيان بالكلمة المثمرة التي ترسم صورة دقيقة معبرة جميلة شكلا ومضمونا، تؤكد قصد المتكلم وتقرره فيزداد المتلقي بهذا البيان ثقة واطمئنانا.

ولما كان للبيان أثره الكبير في النفس استجابة لأنماط التعبير التي اعتمد عليها؛ كالتشبيه والمجاز اللغوي بشقيه: الاستعارة والمجاز المرسل والكناية، فقد اخترت أسلوب التشبيه كي أعالج به القيم الفنية والدلالية في شعر أبي الفضل الميكالي.

ويعدُّ التشبيه أقدر الصور البيانية على إيصال المعنى من أقرب الطرق، فهو أسلوب وسطي بين الحقيقة والمجاز، فإذا قلت: هند شمس فإنك لم تستعمل الحقيقة كاملة، ولا المجاز كاملا

بل ألحقت هندا بالشمس مبالغة في جمالها واختصارا في إضفاء عدد من الصفات عليها بكلمة واحدة هي الشمس، وفي الوقت نفسه فإنك لم تستعمل الكلمة في غير ما وضعت له وهو المجاز، ولذلك كان هذا الأسلوب أقرب الأساليب البيانية التصويرية إلى عامة الناس مع الأخذ بعين الاعتبار أنواعه وطرق استخدام الشعراء له بين: المفرد والمركب، والصريح والضمني، والقريب والبعيد، والحسن والقبيح.

والتشبيه فن أصيل عند العرب جرى في كلامهم وتناولته أشعارهم، وبنيت عليه خطبهم، لقول المبرد: والتشبيه جار في كثير من كلام العرب، حتى لو قال قائل هو أكثر كلامهم لم يبعد[1].

ولأهمية التشبيه وقيمته البلاغية والفنية تم اختياره؛ ليكون موضع الدراسة والبحث والتحليل في ديوان أبي الفضل الميكالي [2] ، وذلك أن هذا الديوان لم تطله أي نوع من أنواع الدراسة حسب علمي باستثناء، تحقيق متواضع، تم من خلاله طبعه ونشره، وقد تناولته في إطار المباحث الآتية :

المبحث الأول: مصادر التشبيه

المبحث الثاني: أغراض التشبيه

المبحث الثالث: بلاغة التشبيه

---

(1) الكامل في اللغة والأدب لأبي العباس المبرد ج 2 ص 69.

(2)شاعر عباسي، وهو أبو الفضل الميكالي عالم وشاعر وأديب، وهو عبيد الله بن أحمد بن علي بن إسماعيل من الملوك، ابن فيروز. مات يوم عيد الأضحى سنة 436. كان أوحد خراسان في عصره أدباً وفضلاً ونسباً، حسن الخلق،. وأبوه أمير مشهور، شاعر جليل القدر. وللأمير أبي الفضل تصانيف منها: كتاب المنتحل؛ كتاب مخزون البلاغة؛ ديوان رسائله؛ وديوان شعره؛ كتاب ملح الخواطر ومنح الجواهر.

معتمدا التحليل وإبراز الصورة والدلالة والنتيجة المترتبة على تلك الدلالة.

وإنما اقتصرت على هذه المباحث الثلاثة وتحليل مظاهرها، حيث تشمل المكونات الأساسية للتشبيه عند الشاعر .

المبحث الأول

مصـادر التشبيـه

يعد التشبيه أسا في البناء التصويري للقصيدة العربية وأكثر أساليب التصوير حسية حيث يعبر " عن خواص محدودة ومحسوسة تؤدي إلى تعديل رؤية الأشياء"[1]؛ لأنَّ " تشبيه شيءٍ عقلي مجرد بآخرَ نظير له لا ينهض بهذه الوظيفة مهما يكن نافذاً وماحاً". وترتكز تشبيهات الشاعر العربي حتى القرن الثاني الهجري على " الأبعاد، والمظهر الحسي الفيزيائي، والألوان، والأحجام، والمدركات الحسية في عناصر الصورة الشعرية "[2] ولكن تلك العلاقة الحسية البحتة تطورت نتيجة للحياة الفكرية الجديدة، فانطلقت من عالم المادة الحسي إلى عالم عقلي يضفي على المعنى أبعاداً أخرى غير الأبعاد الحسية. وينص ابن طباطبا العلوي[3] على السبب وراء عدم استغناء الشاعر العربي عن الصورة الحسية في شعره بقوله:".

إنَّ العَرَب أودَعَتْ أشعَارَهَا من الأوصَافِ والتَّشْبيهاتِ والحِكَمِ مَا أحاطَتْ بِهِ مَعْرفتُها، وَأدْرَكَهُ عِيانُها، ومَرَّتْ بِهِ تَجَارِبُها، من شِتَاءٍ، ورَبيعٍ، وصَيْفٍ، وخَرِيفٍ، من ماءٍ، وهَوَاءٍ، ونارٍ، وجَبَلٍ، ونَبَاتٍ، وحَيَوانٍ، وجَمَادٍ، ونَاطقٍ، وصَامِتٍ، فَضَمَّنَتْ أشعَارَها من التَّشْبيهاتِ مَا أدركَهُ من ذَلِك حِسُّها إِلَى مَا فِي طَبَائعها وأنْفُسِها من مَحْمود الأخْلاق ومَذْمومها..

كما أنَّ علماءَ البلاغة، والنقد من القدماء ولا سيما في القرن الرابع فضلوا الصورة الحسية، فهذا أبو هلال العسكري يجعل أجودَ التشبيه، وأبلغه الذي يُخْرِج "ما لا تقع عليه الحاسة إلى

(1) علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته صلاح فضل ، ص 319 دار الشروق القاهرة ط الأولى 1998 م

(2) المرجع نفسه.

(3) عيار الشعر، لابن طباطبا ، ص15.

ما تقع عليه "[1] ونحى هذا المنحى أبو يعقوب السكاكي وفضل الصورة الحسية بقوله:" إن حضور صورة شيء تتكرر على الحس أقرب من حضور صورة شيء يقل وروده على الحس "[2].

ولا شك أنَّ الشاعر يجد في مظاهر الطبيعة مجالاً رحباً لانتزاع الصور البيانية بشكل عام، والتشبيهات على وجه الخصوص، فالشاعر يتجه إلى تلك المجالات بقلبه وحواسه، فيستلهمُ وحيها،ثُمَّ يُصور ما تعكسُهُ في نفسه من انطباعات، ومشاعر.

" فالمصدر إذاً " هو المادة التي تغذي الشاعر بموارد الإبداع، وهو هنا الكون والإنسان والطبيعة والأفكار والمعاني العقلية والأسماء اللامعة والمعالم التاريخية والآثار والفنون وغيرها؛ فتمدُهُ بالصور الجمالية والإبداعات الفنية، وعلى قدر شاعرية الشاعر يستطيع استغلال ما حوله من تلك المصادر فيصوغ منها أدق المعاني وأجمل الصور[3].

والأسئلة البدهية التي تطرحها الدراسة في هذا المبحث هي:

ما مدى قدرة شاعرنا على توظيف هذه المصادر في الإبداع الجمالي للتشبيه؟..

وعلى أي مستوى استطاع أن يكثف الدلالات في مدلولات التشبيه ؟..

وإلى أي حد تمكن من تجاوز عثرات التكلف في المحسنات البديعية التي نافست القيم الشعرية في عصره ؟

(1) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر لأبي هلال العسكري

(2) مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن محمد بن علي السكاكي، تحقيق: عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ،ط1، 1403 - 1983م، ص335.

(3) فن التشبيه، علي الجندي، مكتبة نهضة مصر، ط1، 1952، ج2، ص193.

هذا ما نحاول الإجابة عنه في هذا المبحث؛ إذ هو الغاية من هذه الدراسة بل بيت القصيد وقبلة الباحثين ووجهة المبدعين والنقاد.

وتبرز المصادر من خلال الصور البيانية التي تناولها الشاعر في ديوانه، وتحديداً في المشبَّه، والمشبه به[1] من خلال عناصر الطبيعة التي سأستعرضها في الصفحات الآتية :

وإليك أهم مصادر التشبيهات التي أوحت بها قصائد أبي الفضل الميكالي، ومدى أهميتها، وكثافة دلالاتها، وفنيتها التصويرية.

أولاً : الطبيعة :

وتعد من أهم المصادر التي استمد منها الشعراء قديماً، وحديثاً صورهم الشعرية، لا زالت إلى يومنا تستهوي الشعراء، سواءً أكانت هذه الطبيعة صامتة (ساكنة)، أم الطبيعة الحية (المتحركة)، فما زلنا " إلى اليوم نعزو إلى مظاهر الطبيعة صفات (المادة)، ونجسِّم المجرد حتى يكاد يحس، ويمس، وتقع عليه الأيدي، وتأخذُه الأعين.

وتنقسم الطبيعة إلى قسمين :

أولا: الطبيعة الصامتة (الساكنة): وتمثل هذه الطبيعة الساكنة للشاعر حيزاً كبيراً يستقي منها الشعراء تشبيهاتهم. ويقصد بها: مظاهرها، ووجودها المتجسِّد في سهولها، وبحارها، وسمائها، وبواديها، وحدائقها[2].

(1) الصُّوَرة الفنِّيَّة في المُفضَّليَّات أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية، د. زيد بن محمد الجهني، الجامعة الإسلامية، ط الأولى،1425، ج2، ص618.

(2) الشعر غاياته ووسائطه، ص13.

وأحيانا إنسانها على رأي المتنبي في قوله:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب

وقد تعددت مظاهر الطبيعة الساكنة في شعر أبي الفضل الميكالي لافتنانه بها، وسنرتب تلك المظاهر التي كانت مصادر لكثيرٍ من تشبيهاته على النحو الآتي:

1- **النبات والأشجار:**

يستمد أبو الفضل الميكالي كثيراً من تشبيهاته من أنواع النبات ومن نماذج ذلك قوله:[1]

لا تمنع الفضلَ من مالٍ حبيتَ به فالبذلُ يُنميه بعد الأجر يدَّخرُ

كالكرْم يؤخذُ من أطرافه طَمَعاً في أنْ يضاعفَ منه الأكل والثَّمرُ

حيث شبَّه صورة الفضل والإنفاق من المال الذي رُزق به الإنسان بهيئة الكَرمْ (العنب) الذي يأخذ المزارع من أطرافه فيزداد، وكما نلاحظ أنَّ هذه الصورة مستمدة من الطبيعة الساكنة وهي شجرة الكرْم، وتتمثل القيمة الدلالية للبيتين في الأجر والادخار اللذين جسدا عاقبة الإنفاق.

ومن ذلك قوله[2]:

ما بالُ نَرْجِسه تحوَّل وردةً والوردُ في خدَّيه عادَ بنفسجا

(1) الطبيعة في الشعر الأندلسي، د. جودت الركابي، مكتبة أطلس، دمشق، الطبعة الثانية، 1390هـ 1970م، 12.

(2) الديوان ص67.

حيث شبَّه وجه الحبيب المرموز له بالنرجسة و بالوردة، والورد (الخد) بعد التحول شبهه بزهرة البنفسج، والنرجس والورد والبنفسج كلُّها أزهار، والقيمة الدلالية للبيت في الصورة الجميلة الجذابة التي شكلها وجه المحبوبة.

وقد استمد الأمير أبو الفضل الميكالي من الغصن المائل تشبيهاً للقَدِّ وذلك في قوله[1]:

فالردفُ دِعصٌ هائلٌ والقَدُّ غصنٌ مائلُ

فقد شبَّه القد بالغصن المتمايل بجامع الليونة، والرشاقة، فقد استقى هذا المصدر من النبات المتمثل في الغصن، والغصن بتمايله واهتزازه وروعة منظره ليس سوى إشارة إلى فتنة المرأة ورشاقتها وحسن قوامها،..وفي قوله[2]

والخدُّ نورُ شقائق تَنشقُ عنه خمائلُ

والعرفُ زهوُ حدائقٍ نمّت بهنَّ شَمائل

حيث شبه الردف وهو عجز المرأة بالدعص وهو الكثيب من الرمل وهو تشبيه متبع عند الشعراء ، وشبَّه خد الحبيب بزهر شقائق النعمان، وهو نوع من أنواع النبتات المعروفة، وسبق أنْ أشرت إليه، ثُمَّ شبَّه العَرفُ وهو رائحة الحبيب بزهو الحدائق، وهذا التشبيه مستمد من النبات، وإذا كان التشبيه يمثل القيمة البلاغية للنص فإن ما في الخد من حمرة قانية ونعومة فاتنة لهو القيمة الدلالية الحقيقية المؤثرة في المتلقي.

(1) الديوان، ص75.

(2) الديوان، ص75.

2 - **النجوم والكواكب:**

والشاعر كغيره من البشر يشاهد هذا الفضاء الفسيح وتقلباته، وأحواله، وهو كتابٌ مفتوح للنظر المتوسم، والعقل المتأمل القادر على الانتفاع، ومما لفت نظر الشاعر إلى تلك النجوم المضيئة والكواكب المتلألئة في السماء، قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)[1] وبين الله عز وجل في غير هذا الموضع أنَّ لها حكمتين أخريين وهما تزيين السماء الدنيا، ورجم الشياطين، فمن هنا استمد شاعرنا تشبيهاته من هذه الكواكب؛ حين شبَّه نور والده في الليل الحالك بالنجم الذي يضيء للركب في قوله[2]:

وإنْ دجا ليلٌ بدا نورُه للرَّكب نجماً فهي تسري به

ولا يخفى ما في البيت من القيم الدلالية أبرزها زعامة أبيه، وقيادته للقوم، وعلو شأنه، وسطوع مكانته واهتداء الناس به.

وفي بيتٍ آخر يشبه والده بنجم الثريا في قوله[3]:

وكُنتَ الثُّريا حينَ عادتْ وأشرقتْ أمِنَّا بها الآفاتِ بعدَ حذارها

وهذا النَّجم هو أظهر النجوم عند الرائي؛لأنَّ له علامة لا يلتبس بغيره في السماء، ويظهر لكل أحد[4] ومع أن الثريا واحدة من النجوم فإن دلالتها هنا تفوق دلالة البيت السابق، فالممدوح في زعم الشاعر ليس واحدا من الرواد بل هو الرائد الذي يشار إليه بالبنان.

(1) سورة الأنعام، آية 97.
(2) الديوان، ص42.
(3) الديوان، ص233.
(4) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، ج28، ص241.

وبصرف النظر عن تعدد النجوم وتفاوتها، فإن التشبه بالنجوم يعد بعدا آخر من المتعة والجمال حيث تعد النجوم مثالا للعلو واللمعان والشهرة والنجومية والظهور، ومن ثم جاءت فكرة التشبيه بالنجوم عند كثير من الشعراء، وفي بعض الأحاديث الصحيحة لقوله صلى الله عليه وسلم: (أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم).

والشاعر لم يخرج عن هذه الأطر التي تتناول المتعة والجمال من جانب، والقيمة الدلالية من جانب آخر، وذلك من خلال الصورة التشبيهية الواحدة التي عكست فكرة التشبيه بالنجوم.

3- المصدر المائي:

وهو كل ماهو من السوائل من الماء أو ما يشابه الماء في أعين الناظر كالسراب، ومن نماذج ذلك قوله[1]:

مواعيدُه بالوصلِ أحلامُ نائمٍ أُشبِّهُهَا بالقَفْرِ أو بسرابه

حيث إنَّ المشبَّه به الثالث مصدره هو سراب الصحراء والتشبيه هنا له قيمة فنية عميقة الدلالة، فمواعيد المحبوبة ليس لها وجود أصلا إلا إذا كان للسراب وجود، وإذا كانت هذه قناعة راسخة لديه - كما يبدو من التشبيه - فإن ذلك يعني أن الشاعر قد ألغى وجود المحبوبة من حياته.

ومن طرائف تشبيهاته قوله[2]:

ولي أدْمعٌ غزرٌ تفيضُ كأنَّها سحائبُ فاضتْ من يديكَ غزارُ

(1) الديوان، ص55.

(2) في الشكوى، من البحر الطويل، الديوان، ص102.

ولمْ أرَ مثلَ الدمعِ ماء إذا جرى تلّهبُ منه في الجـــوانح نـــارُ

استقى الشاعر تشبيهه في البيتين من الماء كما هو ظاهر النص؛ بيد أن الصياغة الفنية للتشبيه كان لها نتاج دلالي مختلف عن المألوف، ففي البيت الأول ليس مجرد تشبيه الدموع الغزيرة بالسحاب، وإنما السحاب المنبثق من بين أصابع المحبوبة، وهذه هي القيمة الدلالية الإضافية للتشبيه.

وكذلك البيت الثاني، فلا قيمة لتشبيه الدمع بالماء، وإنما القيمة الدلالية الحقيقية للأثر النفسي والمشاعر الملتهبة التي أحدثها ذلك الدمع.

وكذلك حينما شبَّه خلق الممدوح بالماء الزُلال بقوله[1]:

خُلُقٌ ؛ كالزُلال، زلَّ عن الصَّخرِ ونفسٌ للعيبِ عنها زليلُ

فعلى الرغم من أن الشاعر لم يوفق في اختيار كلماته الشعرية ولا في صياغتها وجعلنا نستدعي العيب التنافري للألفاظ الذي وقع فيه المتنبي في قوله:

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى قلاقل هم كلهن قلاقل

فإن القيمة الدلالية للتشبيه - وهي عذوبة الخُلق - هي التي استدعت وجود البيت عند شاعرنا في سياق رثاء شخصية، كأبي القاسم الكرخي.

ثانياً: الطبيعة الحية (المتحركة):

لقد استمد الشعراء من الطبيعة الحية صورهم وأفكارهم وتصوراتهم، وليس شاعرنا بدعا من الشعراء، بل كان كغيره من الشعراء حاضراً، وماضياً قارئا فطنا لهذه الصفحة من صفحات

(1) يرثي أبا لقاسم الكرخي، من البحر الخفيف، الديوان، ص178.

الكون، وهي هذه الطبيعة المتمثلة بالحيوانات، والطيور، والحشرات، وقد استلهم أبو الفضل الميكالي هذه المصادر ومن ثم أحسن قراءتها ومن ذلك قوله[1]:

وليلٍ كإبهام القطاة مُعلّقٍ بنور صباحٍ ظلَّ فيه بمرقبِ

أقَمْنا على أوطارِ لهوٍ معجَّلٍ به وتواعدنا بليلٍ مُعَقَّبِ

حيث شبَّه الليل وقد تعلق على مشارف الصباح بأسراب من القطا، وقد ظللت السماء بسوادها، وكأنّها ترقب طلوع الفجر.

وقد استمد هذا التشبيه من صنف من أصناف الطيور وهو القطا، وذلك لسواده وكثافته وسيطرته، ونجده يستمد تشبيهه من مصدرٍ آخر من أصناف الطيور وهو الطاووس في قوله[2]:

وقد يهلكُ الإنسانَ كثرةَ ماله كما يُذبح الطاووسُ من أجل ريشه

وهنا استلهم الشاعر جمال ريش الطاؤوس، وجعله من أسباب هلاكه وكذلك الغنى الذي يعد طموحا لكل البشر ومظهرا من مظاهر الغطرسة والفخر وهنا تكمن القيمة الدلالية للتشبيه؛

حيث شبَّه الإنسان الذي كثُر ماله وأدى إلى غطرسته بالطاووس الذي يُذبح من أجل ريشه، ويعد الطاوس أحد مصادر التصوير في الشعر العربي.

وفي صورة أخرى شبَّه أثر ما ألمَّ به بسبب أصداغ المحبوب ونظراته بلدغ العقارب، ووهن الجسم وترنحه بسبب السكر، وقد ورد ذلك في قوله[3]:

(1) يصف ليلة لهو، من بحر الطويل، الديوان، ص56.

(2) في الحكمة، من البحر الطويل، الديوان، ص124.

(3) في الغزل، من بحر الطويل، الديوان، ص60.

فأصداغُه يلسعنني كالعقارب وألحاظُه يفعلن فعلَ العُقاربي

حيث استمد هذا التشبيه من البيئة المتحركة المتمثلة في العقارب، وتكمن فنية التعبير في لسع الأصداغ وفعل الألحاظ وما لهذين الفعلين من أثر نفسي وجسمي وعقلي على المرء فالعقارب والعقار معروف أثرهما فأراد أن يقرب إلى الأذهان فعل الأصداغ والألحاظ.

مصادر أخرى للتشبيه :

وهناك مصادر اخر للتشبيه عند الشاعر وهي :

1- أدوات الحرب ، 2- الجواهر ، 3- الحضارة والثقافة .

أولاً : أدوات الحرب:

وتتمثل المصادر الحربية بالآتي:

أ - السيف والسنان:

للسَّيف والسنان مكانةٌ مهمة عند العرب، منذ أقدم العصور، فكان السيف أشرف الأسلحة عندهم، يحافظ كل عربي عليه، ولا يكاد يفارقه، ويعد سعد بن سيل جد قصي بن كلاب لأمه هو أول من حلَّى السُّيوف بالفضَّة، والذَّهب[1]، وهذا دليل على عنايتهم بهذا السلاح، وقد حفلت أشعار العرب بتمجيده على مر العصور، بل حتى وقتنا الحاضر مع ظهور الأسلحة

الصُّدْغ، صُدْغ الإنسان: معروف، وهما صُدْغان، وهو ما انحدر من الرأس إلى مَرْكَب اللَّحيين بين أطراف الحاجبين وقُصاص الشعر تحت الجبهة ،جمهرة اللغة مادة ص د غ

(1) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، عالم الكتب - بيروت - 1417هـ ،ط، الأولى، تحقيق : د . محمد كمال الدين عز الدين علي.

الفتاكة الحديثة، ومن هؤلاء الشعراء الذين مجدوا هذه الآلة من آلات الحرب شاعرنا أبو الفضل الميكالي، فقد استمد منه تشبيهاته عندما شبَّه حزنه بحد السيف، وحد الرمح، ومن ذلك قوله في غلام توفي له في دِهِستان[1]:

ثاوٍ ثوى منه في قلبي جوى ضرم يشبُّ كالسيف حداً والسِنان شبا

فهو في موضع الحزن والألم الذي يملأ قلبه شبَّه ذلك بحد السيف والرمح والجامع بينهما الألم والاشتعال والحرارة، فالتشبيه قيمة حضارية وفنية راقية، حيث شبه المعنوي بالحسي، وفي ذلك من الخيال والتصوير ما يجعل المشبه في درجة عالية من التأثير.

وفي موضع آخر يشبَّه الفجر وهو ينبثق من الليل بالسيف حين يجرد من غِمده وذلك في قوله[2]:

أهلاً بفجرٍ قد نضا ثوبَ الدُجى كالسَّيف جُرِّد من سواد قراب

ولا يخفى ما لانسلال الفجر وانبثاقه ببطء وإضاءته للكون من راحة ومتعة، وهذه القيم الجميلة أرى أن الشاعر لم يوفق في اختيار المشبه به المناسب؛ لأن مجرد تجريد السيف من غمده لا يوحي بهذه القيم بقدر ما يوحي بالرعب والسرعة والارتباك، وهو ما لا يراد من انبثاق الفجر في هذا السياق.

ويقول في طرْف الحبيب[3]:

وتاه بطرفٍ يسيل الدماءَ ترى فيه حُمرةَ سيفٍ خضيبِ

(1) دِهِسْتان: بكسر أوله وثانيه: بلد مشهور في طرف مازندران قرب خوارزم وجرجان. (معجم البلدان، ج2 ، ص 492).

(2) في طلوع الفجر، بحر الكامل، الديوان، ص52.

(3) الديوان ص 110

هذه الصورة مستمدة من السيف الذي تسيل الدماء على حده في المعارك؛ فقد شبَّه الشاعر أثر هذا الطرف على قلبه بالسيف القاطع الذي تخضب بحمرة من أثر الدماء، وهو تشبيه ما هو عقلي بما هو حسي، والقيمة الدلالية من البيت هي تجسيد الأثر الذي أحدثته تلك النظرة الأنثوية القاتلة، حيث يلتقي مع المتنبي في قوله:

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

ب – القوس

القوس سلاحٌ مصممٌ لإطلاق السهام، ويسمى الشخص الذي يستعمل القوس الرامي، وقد عرف في عصر ما قبل التاريخ، وأحدث نقلة نوعيةً؛ إذ جعل بمقدور الإنسان قتل الحيوانات عن بُعد، وهذه الأداة من المصادر التي استقى منها أبو الفضل الميكالي تشبيهاته حيث يقول[1]:

أرى وصَـــــالَكَ لا يصفـــــُو لآمـــله والهجرُ يتبعُه ركضاً على الأثرِ

كالقوس أقربُ سَهْميها إذا عَطَفتْ عليه أبعـــدُها عن منـــزِعِ الوترِ

فقد صور حالة من لا يصفُو وصال محبوبه له من كدر الهجران بحالة القوس، فالتشبيه عقلي حسي حيث شبه تعاقب الوصل والهجر وملاحقة الثاني للأول مما يجعله غير صاف ولا مستقر بتعاقب السهمين داخل القوس، فلا يكاد الأول ينطلق إلا ويعقبه الثاني، والدلالة واضحة، وهي عدم تمتعه بوصل محبوبته؛ إذ أنها سريعة التقلب والمزاجية حتى وإن تم الوصل، فالهجر له بالمرصاد، وهذا ما يقلق المحبين، وقد كان مصدر هذه الصورة القوس والوتر.

(1) الديوان ص 110

ثانياً : الجواهر :

ومن مصادر التشبيه عند الشاعر الجواهر :

وأعني بذلك الذهب، والفضة، والعقود، فقد استمد شاعرنا من هذه الجواهر الكثير من التشبيهات ومن نماذج ذلك قوله[1]:

فأحداقُه أحداقُ تِبْرٍ وساقُه كقامةِ ساقٍ في غلائلهِ الخُضْرِ

حيث شبَّه زهرة النّرجس بالذهب بجامع البهاء في كلٍ، كما هو واضح فقد انتزع هذه الصورة من جوهر نفيس وهو الذهب، ونستطيع أن نثمن القيمة الدلالية للتشبيه من وحي المشبه به من منظره أولا، ومن تعلق الناس به ثانيا، ومن مكانته المصرفية والمادية ثالثا.

وفي قصيدته في شكوى الدهر يشبَّه الكرام بالعقد وذلك في قوله[2]:

يا دهرُ دعْ ظُلَمَ الكرامِ فهمْ عقدٌ لنحرِك لو درى النحرُ

حيث شبَّه ماء السماء بسبائك الفضة صفاءً، ونقاءً، وبياضاً، والشاعر هنا يستمد هذا التشبيه من الفضة ، فعلى الرغم من أن الشاعر لم يوفق في اختيار كلماته الشعرية ولا في صياغتها، وجعلنا نستدعي العيب التنافري للألفاظ الذي وقع فيه المتنبي في قوله:

وقلقلت بالهم الذي قلقل الحشى قلاقل هم كلهن قلاقل

بيد أن القيمة الدلالية للتشبيه - وهي عذوبة الخُلق - هي التي استدعت وجود البيت في سياق رثاء شخصية كأبي القاسم الكرخي.

(1) في النرجس، البحر الطويل، الديوان، ص 116.

(2) من بحر الكامل، الديوان، ص101.

ثالثاً: مصدر الحضارة، والثقافة:

وربما استمد أبو الفضل الميكالي تشبيهاته من مظاهر الحضارة، ومن معارفه وثقافته. ومما اكتسبه من تلك المصادر تشبيهه ألحان أبي بشر بما ينشد في المعابد، والأديرة وهذه من مظاهر الحضارة وذلك في قوله[1]:

وإذا تشدو لنا برفيقِ لحنٍ تقاصرُ عنده ألحان مَعبدْ

ومن صور الثقافة ذكر الحروف، وبالتحديد التنوين، والنون ومن ذلك قوله[2]:

سَقْياً لِدهرٍ مضى والوصلُ يَجمعُنا ونحنُ نحكي عِناقاً شكلَ تَنوينِ

حيث شبَّه شدة القرب، والتواصل، واختفاء التكلف بينه وبين محبوبته بالتقارب، والتداخل، وشدة التعانق بين التنوين، والنون الساكنة في النطق حتى لا يفرق بينهما.

ويقول من بحر الرجز:

فيها شِفاءُ من غليلِ الحَينِ حُبِّي لها حُبٌّ بغيرِ مَينِ

محبة الشيعةِ للحسين

حيث شبَّه حُبَّه الصادق الصافي من الشوائب بحب الشيعة للحسين رضي الله عنه – فيما يدعون – وإلاَّ فحبَّ الحسين محل اتفاق بين المسلمين.

(1) هذا لأبي بشر القوال، بحر الوافر، الديوان، ص76.

(2) في الغزل، من بحر البسيط، الديوان، 218.

وكذلك يقول في الهجاء[1]:

وطلعـــةٍ بِقُبحها قد شُهـرت تحـكي زوالَ نِعمةٍ ما شُـكِرتْ

كأنَّها عن لحمِها قد قُشِـرتْ أسْمج بها صحيفةً قد نشرتْ

عنوانُها إذا" الوحوشُ حُشِرتْ " يلعنُها " ما قـدمتْ، وأخـــرتْ

صاحبـُها ذو عَورةٍ لو سُـتِرتْ إنْ سار يوماً " فالجبال سُيِّرتْ

أو رامَ أكلاً " فالجحيمُ سُعِّرتْ "

ومن هذه الأبيات نلحظ جلياً تأثُرَه بآيات الذكر الحكيم؛ حيث شبَّه طلعة المهجو بجاحد النعمة التي لم يشكر الله عليها، ثُمَّ شبَّه تلك الطلعة ثانيةً بطلعةٍ قُشِرتْ عن لحمها، فعاقب الله تلك الطلعة بتشويهها فجعل مقدمتها كالوحوش ، ثُمَّ شبَّه مؤخرة المهجو بالجبال وهي تسير، وفمه بالجحيم حين يأكل، وهو تشبيه قبيح القصد منه تشويه المهجو، ومصدر تلك التشبيهات من القرآن الكريم، وهذا ما زاد من جمال التشبيه، وأثره النفسي، وكثافة دلالاته بسبب الاقتباس من القرآن الكريم.

وكذلك يستمد مصادر تشبيهاته من الشعائر الدينية نحو قوله[2]:

فجفنيَ للتَّسهيدِ والدمعِ قَارنٌ وقلبي فيه بالصبَّابةِ مُفْرِدِ

حيث شبَّه جفنه بالسهر، والدمع بالحاج القارن، ثُمَّ شبَّه قلبه بالصبَّابة بالحاج المفرد.

(1) في الهجاء، من بحر الرجز، الديوان، ص61.

(2) من بحر الطويل، الديوان، ص84.

المبحث الثاني

أغـراض التشبيــه

احتفى الشُّعراء منذ القدم بفنِّ التَّشبيه حفاوةً كبيرةً، ويتمثلُ ذلك في استعمالهم له في أشعارهم للتعبير عما ألمَّ بهم من شيء شاهدوه، أو أحسوه، أو تأثروا به، ولقد تعددت الأهداف، وتنوعت الغايات عند الأدباء، وهذا التعدد والتنوع ارتبط بتنوع مصدر التشبيه، وبالمشبَّه، والمشبَّه به، وقد اتفق البلاغيون، والنقاد على تسميتها بأغراض التشبيه وهي عند البلاغيين " البواعث التي تحمل المتكلم على أنْ يعقد شبهاً بين شيئين"[1].

والمتكلم لا يلجأ إلى التشبيه إلاَّ لغرض يقصده، وهدف يرمي إليه، وفي ذلك يقول السكاكي:" إنَّ التشبيه لا يصار إليه إلا لغرض "[2]. وهذا الغرض أو الهدف بشكل خاص، والتشبيه بوجهٍ عام وُجِد " لتحقيق أهداف أسلوبية تثري لغة النص وتحدد رؤيته في جهد شعري يستهدف تشخيص حالةً معرفية أو شعورية ورصد أطرافها بدقة "[3]. وتلك الأغراض تعد مقصدا للشعراء في أنواع التشبيه كافة، وتتعدد الأغراض بتعدد المقاصد والاتجاهات، وتتنوع بتنوع وجهي الشبه، فمنها ما يعود للمشبَّه، ومنها ما يعود للمشبّه به، بيد أن المشبه سيبقى هو الهدف الأسمى للشعراء: مدحا أو ذما تعظيما أو تحقيرا تحسينا أو تقبيحا؛ ولذلك جاءت أغلب التشبيهات تستهدف المشبه: إما للرفع من قدره أو الحط من شأنه، أمَّا في التشبيه المقلوب فإنَّ الغرض يعود إلى المشبَّه به، وسيتم معالجة هذه الأغراض وفقا لاستيعاب الشاعر لتلك الأغراض في ديوانه.

---

(1) المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، مكتبة الجامعة الأزهرية، ط1،ج 1، ص78.

(2) مفتاح العلوم، ص332.

(3) إنتاج الدلالة الأدبية، ص217.

أولا :الأغراض التي تعود إلى المشبَّه هي:

1- بيان حال المشبَّه :

وهو أنْ يكون المشبَّه مجهول الصفة عند المخاطب، فيؤتى بالتشبيه لبيانها، وتوضيحها، وينبغي أن يكون المشبَّه به معروفاً عند المخاطب[1]، وذلك نحو تشبيهِ ثوبٍ بآخرَ في السواد، والأرض بالكرة في الشكل، ونحو قولك: العالم سراجُ أمته، في الهداية، وتبديد الظلام[2]، ومنه قوله تعالى: " **يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ** القارعة (4)

ومن ذلك عند شاعرنا قوله[3]:

وقَضيبٍ من بناتِ النَّحلِ في قَدِّ الكعابِ

يُشبِهُ العاشِقَ في لونٍ، ودمعٍ ذي انسكاب.

يصف الشاعر في هذا البيت الشمعة بشكلها، ولونها، واشتعالها، وتقطر زيتها، فيشبهها بالعاشق في لونه، ودمعه، وانكساره، ووجه الشبه الجامع بين الطرفين هو: النحافة، والسيلان، وقد كان الغرض التشبيهي لهذه الصورة هو بيان حال المشبَّه، فقد بين من خلال هذا التشبيه حال الشمعة وهي تحترق من خلال حال مشبَّه به معروف وهو العاشق الذي أصابه الضنى، فتغير لونه، وانسكب دمعه، وتآكل جسمه.

---

(1) انظر/ لباب البيان، د. محمد حسن شرشر، دار الكتاب الجامعي،ط2، ص179، وانظر/ أفنان البيان، ص131. انظر/المنهاج الواضح، ص78. وانظر، فن التشبيه، ص202.

(2) انظر/الإيضاح في علوم البلاغة،للقزويني، ج2، ص68. وانظر/ المطول شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تعليق: أحمد عزو عناية، دار أحياء التراث العربي –بيروت – لبنان، ط1، ص60. انظر/علم أساليب البيان، د. غازي يموت، دار الفكر اللبناني – بيروت – ط2، 1995، ص186.

(3) يصف الشمع، بحر الرمل، ص48.

وقوله:[1] – من بحر الكامل –

نَثَر السَحابُ على الغُصون ذَريرةً أهدتْ لنا نَوراً يروقُ ونُوراً

شابتْ ذوائبُها فعدنَ كأنَّها أشفارُ عينٍ تَحملُ الكافُورا

هذان البيتان يكونان معنى مستقلا وفكرة متكاملة في جملتين خبريتين يصف الشاعر فيهما الثلج المتساقط على غصون الشجر الأبيض اللامع المشع نظارة وجمالا وكأنه هيئة أهداب العين التي جملت وزينت بالكافور، وهذا اللون الأبيض يرتبط بالنقاء، والإشراق، والبراءة في أغلب الحالات النفسية التي عبَّر عنها الشعراء العرب في كافة العصور، والغرض من رسم هذه الصورة التشبيهية هو بيان حال المشبَّه؛ أي حال السحاب المتناثر فوق الأغصان وقد زانها وأبهج نظرتها فهو يريد أن يبين حال الثلج، ولونه، وكميته على الأشجار، وقد يكون الغرض لبيان المقدار؛ أي بيان مقدار الثلج وثقل حمولته كثقل الأهداب بالكافور.

ومن ذلك قوله: من بحر الكامل –

يا دهرُ دع ظلمَ الكرامِ فهم عقدٌ لنحرِك لو درى النحرُ

سالمهمُ واستـــــبق ودهم فهمُ نجومُ ظلامِكَ الزهرُ

حيث يصف في هذين البيتين الكرام، بأجمل الصفات من مكانةٍ رفيعة، وزينةٍ للبشر عبر العصور، بما يقدمونه من عطاءٍ، وهبات للفقراء والمعوزين، وما يحدثونه من وئام بين أفراد المجتمع، والغرض من هذا التشبيه هو بيان حال المشبَّه، فالشاعر أراد أنْ يبين عظم حال الممدوحين وهم الكرام، وضآلة شأن غيرهم بالقياس إليهم، كما أن المدح غرض واضح في البيتين.

(1) الديوان: ص178.

ومن ذلك قوله[1]:

خُلُقٌ كالزُلال زلَّ عن الصَّخرِ ونفسٌ للعيب عنها زليلُ

فقد شبَّه الشاعر الممدوح وهو أبو القاسم الكرخي بالماء الزلال في صفائه، وجماله، ورقته، ولينه، والجامع بين الطرفين النقاء والسلاسة، والغرض البلاغي وراء هذه الصورة هو بيان حال المشبَّه، فقد قصد الشاعر أنْ يبين صفة المشبَّه المتمثلة بالرقة، واللين، والرأفة، فهي غير معلومة للمخاطب، فعمد الشاعر إلى بيان هذه الصفة، وإيضاح تلك الحال، ولا يبدو المدح بعيدا عن قصد الشاعر.

ومن ذلك قوله[2]:

وتنكشفُ المكارهُ عن سرورٍ كما انكشفَ السِّرارُ عن الهلالِ

البيت من قصيدة قالها في شكوى الزمان، وتقلبه من حالٍ إلى حال، فيرى أنَّ الدهر يسالمهم حيناً، ويحاربهم حيناً، فالأيام دول يوم لك، ويوم عليك، فهنا شبَّه انكشاف المكاره عن السرور بانكشاف الهلال عندما يظهر بعد استتاره بنور الشمس في آخر ليلة، أو بانكشاف السحاب عنه، والجامع بين الطرفين الظهور في كلٍ، والغرض من هذه الصورة هو بيان حال المشبَّه المتمثل في انكشاف المكاره وبروز السرور والفرح، ومن أمثلة ذلك قوله[3]:

وليلٍ كإبهام القطاةِ مُعلّقٍ بنورِ صباحٍ ظلَّ فيه بمرقبِ

يصف في هذا البيت ليلة لهوٍ مع أحبابه، والغرض البلاغي من هذه الصورة التشبيهية بيان حال المشبَّه وهو: حال الشاعر، ورفقته، وهم يسهرون الليل، ويترقبون ظهور الصباح.

(1) في الشكوى، من الوافر، ص190.
(2) علم البيان، ص113.

2- تقرير حال المشبَّه في نفس السامع:

وذلك بتثبيت حال المشبَّه في نفس السامع، وتقوية شأنه لديه، كما في تثبيت، إذا كان ما أُسند إلى المشبَّه يحتاج إلى التأكيد والإيضاح بالمثال[1].

ومن الأمثلة على ذلك قول الشاعر.

إنَّ القلوبَ إذا تنافر ودّها مثل الزجاجة كسرها لا يُشعبُ

ولقد ورد هذا الغرض عند أبي الفضل الميكالي بكثرةٍ، و سأقتصر على نماذج من ذلك، كقوله

أما تَرى الزَّهرةَ قد لاحتْ لنا تحتَ هِـــلالٍ لونُه من ذهـــب

ككرةٍ من فضةٍ، مجلوةٍ أوفى عليها صولجانٌ من ذَهبْ

ولقد سبق التعليق على هذا البيت. والغرض التشبيهي من ذلك تقرير حال المشبَّه فكما هو واضح اتضحت صورة المشبَّه في النفس، وثبتَ في القلب ثبوتاً يصل إلى درجة اليقين.

ومن ذلك قوله :

ثاوٍ ثوى منه في قلبي جوى ضرم يشبُّ كالسيفِ حداً والسِنانِ شبا

البيت تقدم التعليق عليه في موضع سابق، والهدف الآن بيان الغرض وهو تقرير حال المشبَّه، فقد جسد الشاعر ما يعنيه من نار تشتعل في قلبه حزناً على هذا الغلام..

ومن الأمثلة على هذا الغرض قوله[2]:

(1) الديوان، ص31.

(2) الديوان ص 124

ولم أر مثلَ الدمعِ ماءٌ إذا جرى تَلهَّبُ منه في الجوانحِ نارُ

في هذا البيت يشكو أبو الفضل الميكالي من همومه وآلام الفِراق فتنهمر دموعه، وتحترقُ جوانحَه من تلك الآلام، فقد شبَّه الدمع بالماء، والجامع بين الطرفين السيلان، والتدفق في كلٍ، ووجه الشبه كما هو واضح متميزٌ بذاته، والغرض من هذا التشبيهِ هو: تقرير حال المشبَّه وهو هنا الدمع، وما يعانيه الشاعر.

ومن ذلك قوله[1]:

أرى وصـَالـك لا يصـــفـو لآمـــلِه والهجرُ يتبعُه ركضاً على الأثر

كالقوسِ أقربُ سَهْميها إذا عطفتْ عليه أبعـدُها عن منـــزِعِ الوتر

البيتان سبق التعليق عليهما[2]، والغرض البلاغي المنشود وراء هذه الصورة هو: تقرير حال المشبَّه ببيان مثيل له في الوجود وهو صورة القوس .

ومن ذلك قوله :

دَعِ الحرصَ واقنعْ بالكفافِ من الغنى فرزقُ الفتى ما عاشَ عندَ معيشـــهِ

وقد يهلكُ الإنســانَ كثرةَ ماله كما يُذبحُ الطاووس من أجلِ ريشِه

سبق التعليق على هذين البيتين، والذي يهمنا الآن هو أنَّ الغرضَ التشبيهي فيه هو تقرير حال المشبَّه في نفس السامع، وهو أنَّ الإنسان إذا كثُر ماله يؤدي به إلى الغطرسة ثّمَّ الهلاك، مثله في ذلك مثل الطاؤوس يذبح من أجل ريشه.

(1) الديوان، ص 124

وعند التأمل في المبحث السابق نجد تشبيهاتِ الأميرِ أبي الفضل الميكالي قد استغرقت أغلب أغراض التشبيه التي ذكرها البلاغيون، كما أنَّ المتأمل قد يلمس في التشبيه الواحد أكثر من غرض، وليس في ذلك معضلة، ولا تعارض في هذا. فالأسرار البلاغية لا تتزاحم، فقد تنظر إلى التشبيه من زاوية الإيضاح، فتراه مبيناً لحال المشبَّه، وتنظر إليه من زاوية التحسين فتراه مزيناً للمشبَّه وهكذا...[1].

3- بيان مقدار المشبَّه:

وللتشبيه عند البلاغين وظيفة أخرى هي بيان مقدار المشبه من الزيادة، والنقصان، أو القوة، والضعف، وذلك إذا كان المخاطب يعلم حال المشبَّه، ويجهل مقدار هذه الحال، ويريد الوقوف على مقدارها، فيلحقها حينئذ بشيء يعلم المخاطب مقدار حاله[2].

ومن ذلك قوله تعالى "**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**" **النحل آية** (77) ومن ذلك قول عنترة العبسي:

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا كخافية الغراب الأسحم

وقد قصد أبو الفضل الميكالي إلى هذ الغرض، ومن ذلك قوله في وصف الفرس[3]:

هو فوقَ الجبالِ وعلٌ وفي السهلِ عقابٌ وفي المعابرِ حوتُ

(1) أفنان التشبيه، ص141

(2) انظر/ الإيضاح في علوم البلاغة، ج2،ص70، وانظر /المنهاج الواضح للبلاغة، ج1، ص79,78. وانظر/ لباب البيان، ص180.وانظر/علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، ص108. وانظر/ فن التشبيه، ج1، ص202.

(3) الديوان، ص62.

فحال الفرس معروفة قبل التشبيه وهي الخفة، والحركة السريعة في كل الاتجاهات وبين التشبيه حجم هذه الحركة ومقدارها من السرعة، وأراد الشاعر أن نتخيل مقدار تلك السرعة في أحوال ثلاثة للفرس: عندما يكون فوق الجبل فله سرعة تناسب تلك الطبيعة، وعندما يكون في الصحراء فسرعته تناسب الصحراء، وكذلك في المعابر والسواحل تقدر سرعته بسرعة الحوت، وقد أدركنا من خلال هذا البيت أنَّه فرسٌ كريم أصيل صالح لكل المهمات، ومعد لكل المواقف، ويمكن أن يدخل في هذا التشبيه غرض آخر وهو تجميل صورة المشبَّه، وتحسينها.

ومن ذلك قوله[1]:

كتبتُ وليلي بالسهادِ نهارُ وَصـــدري لورادَ الهمومُ صـــدارُ

ولي أدمعٌ غزرٌ تفيضُ كأنَّها سحائبُ فاضت من يديكَ غزارُ

حيث شبَّه الشاعر ليله بالنهار، والجامع بين الطرفين اليقظة في كلٍ، ووجه الشبه كما هو واضح متميزٌ بذاته، أمَّا الغرض التشبيهي من ذلك فهو بيان مقدار حال المشبَّه وهو الأرق وشدته؛ أي أنه صاح في الليل بمقدار صحوه بالنهار سواء بسواء.

أمَّا الغرض البلاغي في التشبيه الثاني – وقد سبق شرحه والتعليق عليه في موضع سابق – فهو بيان مقدار المشبَّه، حيث بيَّن لنا غزارة دمعه أولاً، ثُمَّ شبهها بالسحائب فكشف بالتشبيه عن مقدار الغزارة، وضخامتها، ويستشف من غزارة دمعه أيضا بيان حاله، فليست كثرة الدموع والبكاء والعويل إلا تعبيرا عن الحال التي انحدر إليها هذا الإنسان.

ويقول في البيت السادس من الأبيات نفسها:

(1) الديوان، ص102.

وهذا كتابي والجفونُ كأنَّها تحكَّم لي أشفارهنَّ شِفارُ

حيث شبَّه الشاعر أطراف جفونه من أثر الأرق بعد أن أصبحت دقيقة من جراء ذلك الأرق بالسكاكين بجامع الدقة في كلٍ، والغرض التشبيهي من ذلك هو: بيان مقدار حال المشبَّه وهو حجم الأرق الذي أثر عليه حتى أصبحت جفونه مثل السكاكين دقة وضمورا.

ومن ذلك قوله[1]:

ماءُ سحابٍ بعد ماءِ عينِ كأنَّها سبائكُ اللُّجينِ

بهذا التشبيه يصف أبو الفضل الميكالي هدية صديقه، والغرض هو: بيان مقدار حال المشبَّه، حيث كشف لنا من خلال هذا التشبيه عن أهمية هذه الهدية، وشبهها بالفضة من حيث بياضها ولمعانها .

ومن ذلك قوله[2]:

فيها شِفاءُ من غليلِ الحينِ حُبي لها حبٌّ بغيرِ مَينِ

محبة الشيعةِ للحسين.

فالغرض المنشود في هذه الصورة هو بيان مقدار هذه المحبة فشبهها بمحبة الحسين فكشف بالتشبيه عن مقدار هذه المحبة وتمكنها من نفسه.

4- بيان أنَّ وجود المشبَّه ممكن:

وذلك في كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعي امتناعه[1].

(1) الديوان، ص222.

(2) الديوان، ص222

كما في قول المتنبي[2]:

فإنْ تَفُقِ الأنامَ وأنت مِنْهم فإنَّ المسك بعضُ دم الغزالِ

وقد استعمل أبو الفضل الميكالي هذا الغرض في بعض تشبيهاته، ولعل من ذلك قوله[3]:

ارض من دُنياك بالقوتِ وإنْ كان يسيرا

فهلاكُ النَمل أن يُكسى جناحاً فَيطيرا

يدعو أبو الفضل الميكالي في هذا البيت إلى الرضا بالقليل، وبما قدر الله للعبد في هذه الحياة الدنيا، فأتي بالمشبَّه به ليثبت هذا الإمكان ويدلل عليه، فيكون أمراً مسلماً لا ينازع في وجوده، فذلك في هذا البيت بهلاك النمل إذا لم يرض بما قسم حين يكون هذا الجناح سبباً في هلاكه، وهذه الصورة واضح أنَّ الغرض منها بيان إمكان المشبَّه.

ومن ذلك قوله[4]:

أراد أنْ يُخفي هواه فَقدْ نَمَّ بما تُخفي أساريرُه

وكيفَ يُخفي داءَه مُدنفٌ قد ذابَ من فَرطِ الأسى رِيرُه

فهو يصف المحب الذي يريد أنْ يُخفي ما به من عُشق، وهيامٍ ولكن تبوء محاولاته بالفشل، لأنَّ ذلك يظهر جلياً على وجهه، فهذا المشبَّه أمر غريب يمكن أن يمارى في وجوده، فأتى الشاعر

(1) الإيضاح في علوم البلاغة، ج2، 68.
(2) الديوان ج ص
(3) الديوان، ص62.
(4) الديوان، 104.

بمشبهٍ به كبرهان، ودليلٍ على ثبوت المشبَّه، وهذا البرهان هو المريض الذي لا يستطيع أنْ يخفي مرضه، ومن هنا يبدو الغرض البلاغي جلياً وهو: إبراز أنَّ المشبَّه أمر ممكن.

ومن ذلك قوله[1]:

وما المرءُ في دنياه إلاَّ كهاجع تراءتْ له الأحلامُ وهي خوادعُ

ينعمُه طيفٌ من اللهوِ باطلٌ ويوقظُه نومٌ من الدهرِ فاجعُ

هذان البيتان يمثلان غرضاً من أغراض الشعر، وهو الزهد الذي شهده العصر العباسي، فالشاعر شبَّه الإنسان في الدنيا، وهو يأمل، ولا يتحقق أملُه بالنائم يحلم بأحلام خادعة يتنعم بها أثناء النوم، ثمَّ يستيقظ مفزوعاً، فوجه الشبه التعلق بشيء، وعدم الانتفاع به، والغرض من ذلك بيان أنَّ المشبَّه أمر ممكن، حيث ادعى أنَّ الإنسان في الدنيا لن تتحقق أمانيه إلاَّ أنْ تتحقق أحلام النائم

ومن ذلك قوله[2]:

وأخٍ إذا ما شطّ عني رحلُه أدنى إليّ على النوى مَعروفُه

كالكرْمِ لم يمنعه بُعدُ عريشه من أن يقرّبَ للجُناةِ قُطُوفَه

شبَّه حالة الكريم (الممدوح) البعيد عنه مسافة، القريب منه معروفا بحالة الكرْم (العنب) الذي يدني ثمرته من الجُناة حتى لو كان عريشُه مرتفعاً، ووجه الشبه العطاء مع البعد، فالكريم يعطي وهو بعيد عنه كما الكرْم يدني ثمرته وهو مرتفع. والغرض البلاغي من التشبيه بيان أن المشبَّه أمر ممكن الوجود.

(1) في الزهد، بحر الطويل، الديوان، ص136.

(2) في الإخوانيات، من بحر الكامل، الديوان، ص147.

ومن ذلك قوله[1]:

وقلتُ للضيفِ انكباباً للفم شنشنة أعرفها ما أخزم

هذا التشبيه الضمني – سبق التعليق عليه - ولكن لما كان المشبّه أمراً غريباً من شأنه أن ينازع فيه، ويدعى امتناعه مثل الشاعر له بشيءٍ مسلمٍ به؛ ليكون دليلاً على إمكان وجود المشبَّه وهو هذا المثل: شنشنة أعرفها من أخزم، وهو هنا المشبَّه به.

ومن أمثلة ذلك قوله – من الرجز:

أضحى يرومُ غَيلتي بالمكر والمداهنة

فِعلَ خَصيٍّ عاجزٍ قَطعتُ بالمدى هَنَهْ

شبه الشاعر حالة من يريد اغتياله، والتحايل عليه بالمكر، والخديعة وجعله عاجزاً عن أن يصل إلى مآربه شبَّه ذلك بحالة فعل العاجز المخصي الذي لا يستطيع أن يصل إلى تحقيق شهواته لعجزه، والغرض البلاغي من ذلك بيان أنَّ المشبه ممكن الوجود ؛وذلك بإثبات نظير له وبرهان له وهو: فعل الخصي العاجز.

5- التنفير من المشبَّه، وتشويهه :

ويسميه علماء البلاغة تقبيح المشبه، وذلك من خلال تصويره بصورة قبيحة مشوهة تنفر منه النفوس، وتعافه الطباع[2].

(1) الديوان، ص208.

(2) أفنان التشبيه، 137.

ويأتي ذلك التقبيح بتشبيه المهجو بصورة حسية معروفة بقبحها كالقرد والخنزير أو بصفة من الصفات السيئة التي اشتهرت بها بعض المخلوقات، كالمكر في الثعلب، والبلادة في الحمار، والجبن في النعامة.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في ذم العالم الذي يبيع دينه بدنياه: [فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ] الأعراف آية " 176"

وقول المتنبي: في ذم متحدث لم يعجبه أسلوبه في الحديث

وإذا أشارَ مُحَدِّثاً فكأنَّهُ قِردٌ يُقهقِهُ أو عجوزٌ تلْطمُ

ولم يوظف أبو الفضل هذا الغرض كثيرا في تشبيهاته، بيد أنني سأختار له عددا من التشبيهات لتوظيفها في هذا السياق ومن ذلك قوله في ذم الخمر:

إنَّها للستورِ هتكٌ وبالألباب فتكٌ وفي المعادِ ذنوبُ[1]

حيث شبَّه الخمرة بذنب تهتك فيه الأعراض، وجريمة تفتك بالعقول وتستوجب عذاب الآخرة، ووجه الشبه هو الهتك، والفتك، والعذاب، والغرض التشبيهي من ذلك: التنفير من المشبَّه، وتشويهه، والتحذير منه وهو الخمر.

ومن ذلك قوله في ذم صفة خلف المواعيد من قبل المهجو

مواعيدُه بالوصلِ أحلامُ نائمٍ أشبِّهُها بالقَفْرِ أو بسرابه

فشبه المواعيد: بأحلام النائم، وبالقفر، وبالسراب، وكلها تدل على خلف المواعيد، وهذا البيت – سبق التعليق عليه – والغرض من التشبيه هو التنفير من صفة خلف المواعيد عند المشبَّه، وتشويه تلك الصفة.

(1) الديوان ص 34

وقد يكون الغرض تقرير حال المشبه وتمكينه في ذهن السامع لتعلقه بأمور معنوية، فخلف المواعيد وأحلام النائم معاني مجردة تدرك بالعقل.

ومن ذلك قوله[1]: في هجاء ديك.

قامَ بلا عَقلٍ ولا دينِ يخلطُ تصفيقاً بتأذينِ

فنبَّه الأحبابَ من نومِهم ليخرجوا في غير ماحينِ

كأنَّما غصَّ بها حلْقُه أغصَّه اللهُ بسكينِ

شبَّه هيئة صوت الديك المشوب بتصفيق الجناحين بصوتٍ مبحوح أصابته غصَّه، ووجه الشبه الصوت المبحوح المتهدج المختلط بين الخشونة والتقطع، والغرض من التشبيه تقبيح صوت الديك الذي أزعج الأحباب.

ثانياً: الأغراض التي تعود على المشبَّه به:

ويظهر ذلك في التشبيه المقلوب، ويتمثل هذا الغرض بالمبالغة حين يأخذ المشبَّه مكان المشبَّه به، للإيحاء بأنَّه أكمل منه، وأقوى[2].

ومن نماذج ذلك عند أبي الفضل الميكالي قوله:

وفيهنَّ أنوارُ الشقائقِ قد حكَتْ خُدودَ عَذارى نُقّشتْ بغوالي

ومن ذلك قوله:

فجاءَ برعدٍ له رنةٌ ❖ كرنَّةِ ثَكلى ولمْ تُثْكلِ

(1) من البحر السريع، الديوان، ص217.

(2) الديوان، ص194.

وواضح من التشبيهين أنه أحل المشبه محل المشبه به وجعله أصلا وجعل المشبه به فرعا، فأنوار الشقائق حاكت خدود العذارى ، وصوت الرعد أشبه صوت الثكلى ، وهذا يأتي في إطار المبالغة، يلجأ إليها الشعراء أحيانا للرفع من شأن الممدوح وتعظيمه والادعاء أنه فوق مستوى البشر .

بيد أن هذا الأسلوب لم يكن مطردا عند الشاعر بشكل كبير، ولذلك لم نفرد له مساحة كبيرة في هذا المبحث، وهو ما يتناسب والمكانة التي وضعه فيها الشاعر في ديوانه .

المبحث الثالث

بلاغة التشبيه

يعد التشبيه من أبرز أساليب البيان، تأثيراً وأكثرها وضوحا وأدقها تصويرا، وأحسنها قيمة فنية؛ لذلك اهتم به الشاعر العربي منذ القدم باعتباره فنًّاً من فنون القول، بل إنَّ من الشعراء من أدمن التشبيه في أشعاره، ومن هنا كان مبحث التشبيه من أسبق مباحث الصورة ظهوراً، لدى البلاغيين والنقاد العرب، فلقد عني به على نحو ما الجاحظ، والمبرد، وغيرهم، وقد كان هناك إيثار للتشبيه دون سائر الصور الفنية، لما له من خصائص بلاغية ترفع من قيمة العمل الأدبي، وبذلك اعتبر ركناً من أركان السبق والتفوق الشعري، "وكانت العرب إنما تُفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحّته، وجزالة اللفظ واستقامته، وتسلّم السّبْق فيه لَمَنْ وصف فأصاب، وشبّه فقارب، وبدَهَ فأغزَر، ولَمن كثرت سوائر أمثاله وشوارد أبياته، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة، ولا تحفِل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر، ونظام القريض"[1].

(1) الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ص33، 34.

ولا شك أنَّ التشبيه يكشف خفي المعاني، ويذلل عصيها، ويزيدها وضوحاً، ويرفع أقدارها، ولهذا "قد استكثر الشعراء من التشبيه ومهروا فيه وفي أفانينه، ولم يخل – شعر - شاعرٍ قديمٌ - أو حديث - منه "[1] وقد اهتمَّ بهذا الفن (المبُرَد) في كتابه (الكامل في اللغة والأدب)، وأفرد له باباً مستقلاً حيث قال: " والتشبيه جارٍ كثيرا في كلام العرب، حتى لو قال قائل: هو أكثر كلامهم لم يُبْعِدْ "[2]. وهذا ما يؤكد على أهمية فن التشبيه في لسان العرب.

بل إنَّ هناك من الباحثين من أفرده بمؤلفات مستقلة، ومن ذلك كتاب (التشبيهات) لابن أبي العون، وابن ظافر الأزدي في كتابه (غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات)، كما أنه يُعد " من أشرف كلام العرب، وفيه تكون الفطنة والبراعة"[3]، فهو يؤثر في النفوس ويجمع بين المتباعدين ، وينطق الأعجم ويبعث الحياة في الجمادات كما يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني:" وهل تشكُّ في أنَّه يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين حتى يختصر لك بُعْدَ ما بين المشرق والمغرب، ويجمع ما بين المُشْئِمِ والمُعْرِق، وهو يُريك للمعاني الممثَّلة شَبَهاً في الأشخاص الماثلة، والأشباح القائمة، وينطق لك الأخرس، ويعطيك البيان من الأعجم، ويريك الحياة في الجماد، ويريك التئام عين الأضداد"[4].

فالتشبيه يلبس الكلام رَوْع الإعجاب؛ لما فيه من قدرة على التأثير، وقبول النفوس له، ويسهل من خلاله حفظ الشعر كما يقول ابن قتيبة: "وليس كلّ الشعر يختار ويحفظ على جودة اللفظ والمعنى، ولكنّه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الإصابة في التشبيه "[5]، ولا أدل على قيمته، ومنزلته من قول السكاكي: " فهو الذي إذا مهرت فيه، ملكت زمام التدرب في فنون

(1) حلية المحاضرة، محمد الحاتمي، تحقيق: هلال ناجي، دار مكتبة الحياة بيروت، 1978م، ص66.
(2) الكامل في اللغة والأدب، ج2، ص79.
(3) البرهان في وجوه البيان، ص58.
(4) أسرار البلاغة، ص132.
(5) الشعر والشعراء،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ، ج1، ص85.

السحر البياني "[1]، وهو فن عالي القدر،سامي المنزلة يقول ابن ظافر: " فن التشبيه بين الأشعار عالي القدر، نابه الذكر، لا يمكن كل الناس سلوك جادته، ولا يقدر إلا اليسير منهم على إجادته، حتى استهوله أكثر الشعراء واستصعبه، وأبى بعضهم أن يجهد بأن يروض مصعبه، وقالوا إذا قال الشاعر كأن فقد ظهر فضله أو جهله، ولم يجد أحداً من المؤلفين ولا مصنفاً من المصنفين اشتغل بتمييز ذهبه عن مدره، ولا خاض في بحاره لاستخراج دره"[2].

ولا شك أنَّ هذا الفن ميدانٌ خصبٌ يتنافس فيه فحول الشعراء، لما فيه من إثراء أدبي، وجمال فني، ولقد لفت فن التشبيه نظر كثيرٍ من الشعراء، ومن أولئك الشعراء أبو الفضل الميكالي، وسيستعرض الباحث نماذج من تشبيهاته، يبين من خلالها قيمة التشبيه، ومن ذلك قوله[3]:

أما ترى الزُّهرة قد لاحت لنا تحتَ هـــلالٍ لونُه من ذهـــب

ككُرةٍ من فضـــةٍ مجلوةٍ أوفى عليها صولجانٌ من ذهب

فإنَّ جمال هذا التشبيه جاء من شعورك بقدرة الشاعر، وحذقه في عَقْد المشابهة بين حالتين لم تخطر لك بالبال أن يكون بينهما مشابهةً، وهما: حالة نجم الزُّهرة تحت الهلال، وحالة الكرة، والصولجان، فخلق من خلال هذه الصورة التشبيهية تشابها يتمثل في الشكل بين الهلال، والصولجان، وبين نجمة الزُّهرة، والكرة، كما اقتنص من خلال هذا التشبيه الألوان التي تكون في الطرفين، ومن خلال هذا التشبيه تتضح معالم المشبَّه، ويستقر في ذهن المخاطب، ونعتقد أنَّ سبب نجاح الصورة ليس بإيراد المشبَّه، والمشبَّه به مقرونين بعضهما ببعض، وإنما بذلك الخيال المُجَنَّح الذي طار به الشاعر، ومن تلك النظرة الدقيقة تركبت الصورة، وظهرت حتى

(1) مفتاح العلوم، ص354.

(2) غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، علي بن ظافر الأزدي المصري، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام، ومصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة،ص7.

(3) الديوان، ص31.

أصبحت كأنَّها بمتناول اليد، وقد اخترع الشاعر المواد الأولية لهذا التشبيه من بيئته، فاتضح المعنى المراد جلياً، فالقيمة الجمالية للتشبيه تتمثل في التقريب بين المتباعدين وتبسيط الصورة للذهن وتوضيحها بإلحاق المشبه بالمشبه به ذي الصفة المعروفة.

ومن ذلك قوله[1]:

أهلاً بنرجسِ روضٍ يُزهى بحُسْنٍ وَطيبِ

يَرنو بعينِ غزالٍ على قضيبٍ رَطيبِ

فانظر كيف استطاع الشاعر أنْ يصف النرجس وصفاً دقيقاً كاشفاً جماله حين جعل زهرة النرجس ترنو بعين الغزال، ومن المعروف أنَّ عين الغزال رمز للجمال عند العرب، فبثَّ الحركة في النرجس، ولم يتوقف عند ذلك بل جعل هذه النرجسة على غصن رطيب، كما أن عين الغزال الجميلة تقوم على اعتدال قوائم الغزال، فأصبح هذا المنظر الجميل تتوق إليه النفوس من خلال هذه الصورة التشبيهية.

ومن ذلك قوله[2]:

هو فوق الجبالِ وعلٌ وفي السهل عقابٌ وفي المعابر حوتٌ

لم يكتف الشاعر بوصف الفرس بمشبهٍ به واحد بل أكثر من واحد حتى يناسب حال الفرس في مواطن مختلفة (الجبل، السهل، المعبر)، وهذا يدل على أنَّه فرس كريمٌ، لما يتميز به من التأقلم مع أحلك الظروف، سواءً أكان في الجبال، أو السهول، أو في المعابر، فهو أمنية لكل فارس مغوار، فنقل هذا المعنى من خلال الصورة التشبيهية في بيان، ووضوح، فكأنَّ الشاعر

(1) الديوان، ص53.

(2) الديوان، ص62.

جعل هذا الفرس فريدا من بين الخيول، وقد عمد الشاعر إلى بساطته، وقوة نفاذه إلى ما يريد من أيسر السبل إلى القلوب عن طريق اللفظ اليسير المعبر.

ومن ذلك قوله(1):

كم والدٍ يحرمُ أولادَه　　وخيرُه يَحظى به الأبْعدُ

كالعين لا تُبصرُ ما حولَها　　ولحظُها يدركُ ما يبعدُ

لقد استطاع الشاعر من خلال هذه الصورة التشبيهية المبتكرة أنَّ ينقل المعنى المراد إلى المتلقي، فقد رسم صورة ذلك الإنسان البخيل بحق الأقرباء بصورة العين التي لا يمكن أن ترى ما يحيط بها، فهذه الصورة هي نور كشاف يهدينا إلى بيان حال المشبَّه، وتوضيح معالمه، ومن خلال هذا النور الكاشف نهتدي إلى تبيّن ملامح البخيل الذي يحرم أبناءه، فخيال الشاعر قرّب لنا تلك الصورة بنظيرٍ لها من الواقع وهي العين، وكما تلاحظ لقد استنبط لحالة البخيل ما يناسبها من المعاني فعند الربط بين المشبَّه، والمشبَّه به اتضح جلياً المعنى المراد للشاعر.

ومن ذلك قوله:

أرى وصـــَالك لا يصفـــُو لآمـــله　　والهجر يتبعُه ركضاً على الأثر

كالقوس أقرب سَهْميها إذا عطفت　　عليه أبعـــدُها عن منزع الوَتر

فأبو الفضل الميكالي أراد أنْ يبين عدم صفاء الوصل من محبوبته فلم يجد لهذه الصورة إلا التشبيه، فصبَّ الأمور المعنوية في قوالب المحسوسات تحقيقاً لكنْه التشبيه، وإبراز ما أراده من معنى، وهو توضيح الشيء الخفي المتمثل في الوصل، وتقريب المعنى المقصود، فعندما شبَّه

(1) الديوان، ص81.

حالته مع المحبوب أراد أنْ يكشف عن ذلك من خلال المشبَّه به وهو حالة القوس، فجاء بوجه الشبه دقيقاً شاملاً للطرفين مؤدياً الغرض من التشبيه، فالشاعر نظر إلى الأوصاف الخاصة المتحققة في المشبَّه، والمشبَّه به، وبذلك تتضح قيمة التشبيه البلاغية.

ومن خلال تلك الصور تبين قدرة الشاعر على تناول صوره التشبيهية بريشة الفنان الواعي للعلاقة الدقيقة بين الأسلوب والدلالة أو بين المبنى والمعنى، وهو ما أضفى على تشبيهاته جماليات لا تقل عن جماليات كبار الشعراء العباسيين.

الخاتمــة

بعد هذا العرض للتشبيه - مصادر وأغراضا وبلاغة - من خلال الدراسة النصية لديوان أبي الفضل الميكالي، اتضح أن التشبيه يشكل قاعدة متينة في بناء الصورة الشعرية في الشعر العربي في عصوره كلها بيد أن ذلك لا يسير على وتيرة واحدة ، حيث يستقي الشاعر من مصادره الخاصة بيئية وثقافية ودينية واجتماعية ، وليس شاعرنا نشازا من تلك القاعدة التي اعتمدها الشعراء جيلا عقب جيل ، بل لقد جسد الشاعر أبو الفضل الميكالي هذا التصور تجسيدا حيا مفعما بالأسماء والمصطلحات والصور والمناسبات والعادات والصناعات اللفظية المتداولة في عصره .

ولست أزعم أني قد أحطت بمقاصد الشاعر التشبيهية كافة، وحسبي من القلادة ما أحاط بالعنق، ففي مجال المصادر أحاط الشاعر بمعظم المصادر البيئية في عصره كالطبيعة ، والحرب ، والثقافة ، والحضارة ، والتقاليد الاجتماعية في العصر العباسي وغيرها . بيد أن الصور المستمدة من هذا المصدر – الحضارة والثقافة – كانت أقل فنية من الصور المستمدة من المصادر الأخرى، ربما لأن الشاعر لم يوفق في اختيار عنصري المشبه والمشبه به من بين عناصر الحضارة والثقافة إما بسبب عصره.. أو ثقافته.. أو نحو ذلك من الأسباب. والله أعلم.

وفي مجال الأغراض ، تمت معالجة أغراض التشبيه واستنباطها من النصوص بقراءة نصية دلالية سياقية ، وقد وجدنا أن الشاعر لم يتجاوز أغراض الشعر العربي التقليدية التي تناولتها كتب البلاغة بطرق وتحليلات متنوعة .

وفي مجال بلاغة التشبيه كان التركيز على جمال التشبيه ومعانيه الخفية وإبراز قدرة الشاعر وحذقه في عقد المشابهة بين حالتين لم يخطر ببال أن تكون بينهما مشابهة في الغالب ، وقد أشرنا في ذلك إلى عدد من النماذج .

المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم.
2. أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني، ت محمود شاكر، ط المدني، الخانجي القاهرة 1987 م .
3. إنتاج الدلالة الأدبية ، صلاح فضل، القاهرة 1987م .
4. الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني ت لجنة أزهرية مطبعة السنة المحمدية القاهرة (د - ت).
5. البرهان في وجوه البيان، لإسحاق بن إبراهيم بن وهب، تحقيق أحمد مطلوب، بغداد 1967م
6. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، لفخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت ط الأولى، 1981م .
7. حلية المحاضرة، محمد الحاتمي، تحقيق: هلال ناجي، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1978م.
8. ديوان المتنبي شرح البرقوقي، لعبد الرحمن البرقوقي، طبعه مصر ، سنه 1930 .
9. الشعر غاياته ووسائطه، لابراهيم المازني، دار الفكر اللبناني، بيروت (د - ت).
10. الشعر والشعراء،أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار الحديث، القاهرة، 1423هـ .

11. الصُّوَرة الفنِّيَّة في المُفضَّليَّات (أنماطها وموضوعاتها ومصادرها وسماتها الفنية)، د. زيد بن محمد الجهني، الجامعة الإسلامية، ط الأولى،1425هـ .

12. الطبيعة في الشعر الأندلسي، د. جودت الركابي، مكتبة أطلس، دمشق، الطبعة الثانية، 1390هـ 1970م.

13. علم أساليب البيان، د. غازي يموت، دار الفكر اللبناني – بيروت – ط2، 1995م.

14. علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ، صلاح فضل ، ط 1 - دار الشروق القاهرة ، 1998م.

15. علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى ، مكتبة وهبة القاهرة (د- ت).

16. البيان، في ضوء أساليب العربي، عائشة حسين فريد، دار قبا للطباعة والنشر القاهرة 2000م.

17. عيار الشعر، لابن طباطبا العلوي، ت عباس الساتر،ط2، دار الكتب العلمية، بيروت - 2005م.

18. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ، لأبي هلال العسكري، ت أبو الفضل إبراهيم القاهرة 1952م.

19. غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، علي بن ظافر الأزدي المصري، تحقيق دكتور محمد زغلول سلام، دكتور مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف، القاهرة،

20. فن التشبيه، علي الجندي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ط1، 1952م.

21. الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس المبرد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1996م.

22. لباب البيان، د. محمد حسن شرشر، مكتبة زهراء الشرق ،1998م .

23. لسان العرب ، لابن منظور، دار صادر، بيروت .

24. المطول شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تعليق: أحمد عزو عناية، دار أحياء التراث العربي، ط1 –بيروت – لبنان.

25. معجم البلدان، لياقوت الحموي، ط 2 ،من منشورات دار صادر، بيروت 1995م .

26. مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن علي السَّكاكي، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط 1، 1420هـ- 2000م،.

27. - المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، مكتبة الجامعة الأزهرية، ط1 مصر

28. الوساطة بين المتنبي وخصومه، أبو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه .